الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي

(ت909هـ/1503م)

معالم من رؤيته الدينية والسياسية

بقلم:
د/ مصطفى الحكيم
أستاذ باحث في الفكر الإسلامي، ورئيس فريق البحث في مناهج العلوم الإسلامية، والمنسق العلمي بمركز ابن غازي للأبحاث والدراسات الاستراتيجية. المملكة المغربية

ملخص

يعد الإمام أبو عبد الله محمد بن عبد الكريم المغيلي صاحب منزلة عالية، ومكانة سامقة في مضمار التجديد الفكري في الغرب الإسلامي، والذي امتد إشعاعه، وبلغ تأثيره إلى آفاق بعيدة، وبلدان ممتدة. حيث يشكل حضوره الفكري والتربوي في مناطق شاسعة من أفريقيا محطة مهمة، ومرحلة أساسية في تاريخ الحركة العلمية في الغرب الإسلامي لا تكتمل الرؤية، ولا يحصل الفهم لمساراتها وطرقها وأسانيدها دون الإلمام الدقيق بسيرته ومسيرته، وعطائه التربوي، وإسهامه العلمي، والتتبع الشامل لشبكة تلاميذه والآخذين عنهم الذين انتشروا في بلاد أفريقيا مربين ومعلمين .

وقد حاولت عند اشتغالي على شخصية الإمام المغيلي استجلاء مواقفه وآرائه، لفهم فعله وعطائه في السياق التاريخي من خلال وضع قضايا بعينها أخذت بلبه، واستولت على تفكيره.

فمن هو إذن هذا العالم الذي تفاعل مع أحداث عصره، وأثر في مجرياته، وساهم في صياغة رؤية متكاملة طبعت الحياة الدينية والاجتماعية والسياسية على عهده؟

وما ملامح هذه الشخصية العلمية التي صنعت التاريخ في زمانها ومكانها، وما هي معالم رؤيته السياسية والدينية والاجتماعية، التي تحصلت لنا من خلال إعمال نظرنا في ما تيسر لنا قراءته من تراثه العلمي، وتجربته التربوية، وحركته التغييرية؟

الكلمات المفتاحية: الإمام، المغيلي، معالم، الدينية، السياسية.

مُقَدِّمَـــة

يعد الإمام أبو عبد الله محمد بن عبد الكريم المغيلي صاحب منزلة عالية، ومكانة سامقة في مضمار التجديد الفكري في الغرب الإسلامي، والذي امتد إشعاعه، وبلغ تأثيره إلى آفاق بعيدة، وبلدان ممتدة. حيث يشكل حضوره الفكري والتربوي في مناطق شاسعة من أفريقيا محطة مهمة، ومرحلة أساسية في تاريخ الحركة العلمية في الغرب الإسلامي لا تكتمل الرؤية، ولا يحصل الفهم لمساراتها وطرقها وأسانيدها دون الإلمام الدقيق بسيرته ومسيرته، وعطائه التربوي، وإسهامه العلمي، والتتبع الشامل لشبكة تلاميذه والآخذين عنهم الذين انتشروا في بلاد أفريقيا مربين ومعلمين .

وقد حاولت عند اشتغالي على شخصية الإمام المغيلي استجلاء مواقفه وآرائه، لفهم فعله وعطائه في السياق التاريخي من خلال وضع قضايا بعينها أخذت بلبه، واستولت على تفكيره.

فمن هو إذن هذا العالم الذي تفاعل مع أحداث عصره، وأثر في مجرياته، وساهم في صياغة رؤية متكاملة طبعت الحياة الدينية والاجتماعية والسياسية على عهده؟

وما ملامح هذه الشخصية العلمية التي صنعت التاريخ في زمانها ومكانها، وما هي معالم رؤيته السياسية والدينية والاجتماعية، التي تحصلت لنا من خلال إعمال نظرنا في ما تيسر لنا قراءته من تراثه العلمي، وتجربته التربوية، وحركته التغييرية؟

وقد انتظم هذا البحث -بعد هذه المقدمة- في ثلاثة مباحث عرضت في المبحث الأول لظروف عصر الإمام المغيلي، وملامح زمنه سياسيا، واجتماعيا، ودينيا، وفكريا. وألمعت في المبحث الثاني إلى معالم من سيرته، ومكانته العلمية والتربوية، ورصيده التأليفي، مبرزا صفاته النفسية والخلقية. واعتنيت في المبحث الثالث بدراسة بعض من معالم رؤيته الجامعة المتصلة بفكره السياسي، ومسلكه التربوي، واجتهاده الشرعي، ثم أتيت بخاتمة جمعت فيها خلاصات البحث ونتائجه.

المبحث الأول: عصر الإمام المغيلي

المعلم الأول: الحياة السياسية

عاصر الإمام المغيلي أشهر سلاطين آل سُني وهو السلطان سُنيٍّ علي (1464-1492م/868-897هـ) الذي يعتبر المؤسس الحقيقي لإمبراطورية سنغاي، اشتهر بانتصاراته العسكرية وحروبه الكثيرة، مما يجعله أهم قائد عسكري عرفته منطقة السودان الغربي. وقد كان في علاقته بالعلماء جفاء ظاهر، تجلى في قتله لعلماء تنبكتو الذين كان يتهمهم بموالاة خصومه الطوارق[1]، وفي المقابل ناصبه العلماء العداء، ووسموه بنعوت قادحة كما تحدثت بذلك المصادر التاريخية، وصل بهم الأمر إلى حد تكفيره، والتشكيك في إسلامه، والقدح في سلامة عقيدته. نعته عبد الرحمان بن عبد الله السعدي (ت1066هـ) صاحب "تاريخ السودان" **بالظالم الأكبر والفاجر الأشهر**، ثم قال فيه: «**كان ذا قوة عظيمة، ومتنة جسيمة، ظالما، فاسقا، متعديا، متسلطا، سفاكا للدماء، قتل من الخلق ما لا يحصيه إلا الله تعالى،**

وتسلط على العلماء والصالحين بالقتل والإهانة والإذلال»[2].

إلى أن نصل إلى سنة 1493م/898هـ التي أرخت لوصول الأسكيا الحاج محمد الكبير إلى الحكم عبر انقلاب عسكري على حكم آل سني، والذي لقي تأييدا واسعا من العلماء، نظرا لما كانوا يلاقونه في الحكم السابق من تنكيل وإذاية كما ألمحنا إلى ذلك سابقا، حيث استقبلوا حكمه بالترحاب والمودة.

وقد تميزت العلاقة بين الأسكيا الأول والعلماء بحميمية خاصة وتقارب ملحوظ، حيث تبوأ العلماء في عهده مكانة متميزة، ومقاما أثيرا في سند السلطة السياسية والدينية، من خلال مساهمتهم في صناعة القرار، وإنجاح مشروع الأساكي السياسي، يقول محمد الصغير الإفراني (ت1155هـ) عنه: «**كان الحاج محمد المذكور سهل الحجاب، رقيق القلب، خافض الجناح، شديد التعظيم لأئمة الدين، محبا للعلماء، مكرما لهم غاية الإكرام، يفسح لهم في المجلس، ويوسع عليهم في العطاء**»[3]. وعلى عهد الأسكيا الأول عرفت إمبراطورية سنغي توسعا ملحوظا تمثل في امتداد الرقعة الجغرافية للإمبراطورية، بإضافة مناطق جديدة، وإخضاع أقاليم إلى حكمه.

المعلم الثاني: الحياة الدينية والاجتماعية

أحدث الإسلام في نفوس شعوب السودان أثرا إيجابيا، تجلى في التغيير الذي ظهر في سلوكهم وحياتهم الدينية؛ حيث نقلهم الإسلام من ظلام الشرك الذي كانوا يحيونه في ظل الديانة الأرواحية إلى نور التوحيد. وقد أشاد أغلب من أرخ للسودان الغربي بمتانة تدين شعوب السودان، وشدة تمسكها بإسلامها، وحرصها على أداء شعائره؛ يقول صاحب دوحة الناشر ابن عسكر (ت986هـ) في هذا الشأن: «**والإسلام في بلادهم غض، وشعائره مستجدة، وملكهم على الغاية في تعظيم العلم والعلماء، وإجلال أهل البيت، وإكرام الغرباء...**»[4]. يقول ابن بطوطة

(ت770هـ) مادحا بعض أحوالهم الدينية والاجتماعية: «فمن أفعال السودان الحسنة قلة الظلم فهم أبعد الناس عنه وسلطانهم لا يسامح أحدا في شيء منه، ومنها شمول الأمن في بلادهم فلا يخاف المسافر فيها ولا المقيم من سارق ولا غاضب، ومنها عدم تعرضهم لمال من يموت ببلادهم من البيضان ولو كان القناطير المقنطرة إنما يتركونه بيد ثقة من البيضان حتى يأخذه مستحقة، ومنها **مواظبتهم للصلوات والتزامهم لها في الجماعات** وضربهم أولادهم عليها، وإذا كان يوم الجمعة ولم يبكر الإنسان إلى المسجد لم يجد أين يصلي لكثرة الزحام، ومن عادتهم أن يبعث كل إنسان غلامه بسجادته فيبسطها له بموضع يستحقه بها حتى يذهب إلى المسجد... ومنها لباسهم الثياب البيض الحسان يوم الجمعة ولو لم يكن لأحدهم إلا قميصا خلقا غسله ونظفه وشهد به الجمعة، **ومنها عنايتهم بحفظ القرآن العظيم وهم يجعلون لأولادهم القيود إذا ظهر في حقهم التقصير في حفظه فلا تفك عنهم حتى يحفظون**»[5].

هذا ما أحدثه الإسلام من أثر على مستوى الفرد، أما على المستوى الاجتماعي فإن أهم ما أحدثه الإسلام من تغيير هو محاربته لظاهرة اشتهرت عند أهل تلك البلاد، وهي ظاهرة العري التي كانت عرفا شائعا في المجتمعات السودانية الأرواحية، والتي لم تتخل عنه بمجرد اعتناقها للإسلام؛ وهاهو ابن بطوطة الرحالة الشهير يستاء من ظهور جاريات القصر عاريات حينما زار بلاد مالي في منتصف القرن الرابع عشر الميلادي، يقول في ذلك: «**ومن مساوئ أفعالهم كون الخدم الجواري والبنات الصغار يظهرن للناس عرايا باديات العورات**، ولقد كنت أرى في رمضان كثيرا منهن على تلك الصورة؛ فإن عادة الفرارية أن يفطروا بدار السلطان، ويأتي كل واحد منهم بطعامه تحمله العشرون فما فوقهن من جواريه وهن عرايا، ومنها دخول النساء على السلطان عرايا غير مستترات وتعري بناته،

ولقد رأيت في ليلة سبع وعشرين من رمضان نحو مائة جارية خرجن بالطعام من قصره عرايا ومعهن بنتان له ناهدان ليس عليهما ستر»[6]. وقد تطلب الأمر وقتا حتى تُستأصل هذه الظاهرة، بعدما تشربت أرواحهم رسالة الإسلام، وتشبعت بأخلاقه وقيمه، حيث ستختفي خلال ق 16م/ق 10هـ.

كما أحدث الإسلام تغييرا جوهريا في مسار الأسرة السودانية، وخاصة مسألة الانتساب إلى الأم الذي أصبح يتم إلى الأب عوض الأم، حيث جرى أن ينسب المواليد إلى أمهاتهم، ويحملون أسماءهن.

وقد انطبعت الحياة الاجتماعية في السودان الغربي بمظاهر كانت موضوع نكير من طرف العلماء الذين عبروا عن الموقف الديني اتجاهها؛ كمسألة الاختلاط بين الرجال والنساء في الاحتفالات العامة والمناسبات الاجتماعية، وتساهل الأهالي في ذلك، هذا السلوك قوبل باستنكار شديد، وانتقاد حاد من طرف الإمام المغيلي، الذي استُفتي في ذلك فأجاب: «**إن صنع الطعام للعب الشيطان وولائمه فلا ينبغي أكله لذي دين ومروءة... لأن الولائم الفسقية التي يمزقون بها الدين باختلاط النساء والرجال، والزمر وأنواع اللهو الحرام من أسواق الزنى، وأعياد الشياطين ومواسمه؛ فيجب جهاد فاعلها، ومن حضرها بالقول والفعل... وكيف لعاقل مسلم يزعم أنه ينصر دين الله، ويتألم مما يتألم منه رسول الله ﷺ أن يعد طعامه لعمارة سوق الزنى المشحون بأنواع الفسق...**»[7].

لم تستطع رسالة الإسلام أن تمحو مظاهر الطبقية والاستعباد التي كانت سمة لازمة للحياة الاجتماعية بالسودان الغربي، والتي استمرت على عهد الأسكيين الذين حاولوا ترسيخ هذا العرف الفاسد وإبقائه. فقد ورث الأسكيا الأول عن آل سن أربع وعشرين قبيلة مملوكة، وعاملهم معاملة خاصة للحفاظ على دوام استرقاقه لهم، فحذر من مناكحة هذه القبائل...

والسؤال الذي يفرض نفسه في هذا المقام: ما سبب سكوت العلماء عن هذا الفعل المشين الذي يتنافى مع روح الإسلام وتعاليمه ؟ سؤال لا نجد جوابا له في الكتب التي تعرضت لتلك المرحلة. ولعل من أسبابه حاجة السلطة الأسكية إلى الأموال، وحاجتها كذلك إلى مساندة علماء الدين فلم تجد أفضل من تجارة العبيد لتعزيز مواردها المالية[8].

المعلم الثالث: الحياة الفكرية والعلمية

شهد عصر الإمام المغيلي حركية فكرية، ونشاطا علميا ملحوظا، ساعد في ذلك وجود طبقة سياسية تشجع العلم، وترعى أهله في ظل حكم الأساكي، الذين تبوأ العلماء في عهدهم مكانة رفيعة، ومنزلة متميزة في التنظيم المجتمعي. خاصة في عهد الحاج محمد الأسكيا الذي سعى إلى الظهور بمظهر المهتم بالشؤون الدينية، بعمله على خلق مراكز للتدريس والعبادة، وتطوير مؤسساتها، يقول عبد الرحمان السعدي عنه: «**اجتهد بإقامة ملة الإسلام، وإصلاح أمور الأنام، وصاحَبَ العلماء، واستفتاهم فيما يلزمه من أمر الحل والعقد**»[9].

وقد أسهم في هذه الحركية الفكرية علماء الغرب الإسلامي الذين وفدوا على تلك البلاد سواء من جاءها زائرا، أو من استوطنها واستقر بها، والذين اضطلعوا بدور فعال في تنشيط الحياة الفكرية والدينية، أمثال الإمام المغيلي، وعبد الرحمان سقين (ت956هـ)[10]، وعبد الله بن أحمد بن سعيد الزموري[11]، وغيرهم...

كما كان لطلبة السودان الغربي وعلمائه ممن رحلوا لطلب العلم في المشرق أو المغرب أثر بالغ في تنشيط الحياة العلمية، وإثراء الساحة الفكرية بما اكتسبوه من معارف، وحصلوه من علوم، من أشهرهم: أسرة أحمد بابا التنبكتي (ت1036هـ) التي أفرد جزءا من كتابه: "كفاية المحتاج" للترجمة لهم، والتعريف بهم، ومحمد بن أحمد التازختي (ت936هـ)[12]، وعبد العزيز التكروري[13]، ومخلوف بن علي بن

صالح البلبالي (ت بعد 940هـ)[14]، وغيرهم كثير ممن لا يتسع المجال لذكرهم...

المبحث الثاني: حياته وصفاته

المعلم الأول: معالم من سيرته

هو أبو عبد الله محمد بن عبد الكريم بن محمد المغيلي التلمساني[15]، نسبة إلى قبيلة مغيلة البربرية التي تقطن نواحي تلمسان. حلاه ابن عسكر (ت986هـ) بـ «**الشيخ الفقيه الصدر الأوحد، كان من أكابر العلماء، وأفاضل الأتقياء**»[16]، ووصفه أحمد بابا التنبكتي (ت1036هـ) بـ «**خاتمة المحققين، الإمام العالم العلامة الفهامة القدوة، الصالح السني، أحد الأذكياء، ممن له بسطة في الفهم والتقدم، متمكن المحبة في السنة، وبغض أعداء الدين**»[17]، وأشار إليه ابن مريم التلمساني (كان حيا سنة 1014هـ) بـ «**أحد أذكياء العالم، وأفراد العلماء الذين أوتوا بسطة في العلم والتقدم والنسبة في الدين**»[18]، ونعته عبد الكبير بن المجذوب الفاسي (ت1295هـ) بـ «**الشيخ العالم العامل العلامة النحرير، ذو الخوارق المتواترة، والحقائق المتوافرة**»[19]، ووسمه ابن مخلوف (ت1360هـ) بـ «**خاتمة الأئمة المحققين والعلماء العاملين، مع البراعة والتفنن في العلوم، والصلاح والدين المتين**»[20].

تتلمذ على أبي زيد عبد الرحمان الثعالبي(ت875هـ)[21]، ويحيى بن يدير (ت877هـ)[22] وغيرهما، وتخرج على يديه علماء أجلاء، وطلاب نجباء أمثال: العاقب الأنصمني (كان حيا قرب 950هـ)[23]، ومحمد بن عبد الجبار الفكيكي (ت956هـ)[24]، وأَيْدَ احْمَد (ت936هـ)[25] وغيرهم. وقد عرف بغزارة تآليفه، وتنوع العلوم المطروقة، وتعدد القضايا المعروضة، منها: -منح الوهاب في رد الفكر إلى الصواب وهي منظومة في المنطق -مصباح الأرواح في أصول الفلاح[26] -تنبيه الغافلين عن مكر الملبسين بدعوى مقامات العارفين -أجوبة على أسئلة الأسكيا وهي في السياسة الشرعية -رسالة في الإمارة وهي في السياسة الشرعية -

رسالة إلى أمير كانو وهي في السياسة الشرعية -رسالة في اليهود -البدر المنير في علوم التفسير -مفتاح النظر في علم الحديث -مغني النبيل في شرح مختصر خليل -قصيدة في مدح النبي ﷺ -مختصر تلخيص المفتاح وشرحه -شرح جمل الخونجي -شرح خطبة المختصر...

وغيرها من كتبه الكثيرة، وتآليفه الغزيرة التي تدل على ثقافته الموسوعية، ورسوخ قدمه في العلوم العقلية والنقلية من خلال عناوين كتبه التي طرق فيها مواضيع متعددة، ومسائل متفرقة (فقه، منطق، عقيدة وتوحيد، تصوف، سياسة شرعية، تفسير، مديح نبوي، بلاغة، عروض، علم الحديث...).

وقد كان لهذه الثقافة الموسوعية فيما نعتقد دور في المكانة الرفيعة التي تبوأها في عصره، والتي أكسبته محبة وثقة شعوب السودان الغربي، والحظوة لدى ملوكها وحكامها، الذين جعلوا منه مستشارهم الأول، والفاعل المؤثر في رسم سياساتهم، وصبغ قراراتهم ومواقفهم بالصبغة الشرعية.

لقد ساهم المغيلي في تنشيط الحياة العلمية، وتفعيل الحركية الفكرية حيث سعى إلى نشر العلم بشتى فروعه سواء في جانبه العقلي أو النقلي بكل المدن السودانية التي زارها أو استقر بها، تاركا وراءه إشعاعا ونشاطا كان له دور فاعل في الحياة العلمية والدينية.

وقد كانت للمغيلي صلة وطيدة بجلال الدين السيوطي علَم عصره، ومبرز دهره، حيث جرت بينهما مناظرة غير مباشرة حول علم المنطق، وقف فيها المغيلي مؤيدا لعلم المنطق، وداعيا إلى إعمال أدواته في الحجاج على القضايا الشرعية، في مقابل السيوطي الذي اتخذ إزاء علم المنطق موقفا رافضا للاستدلال به والحجاج بمنطقه، وبأدواته في قضايا الشريعة ومسائلها. فراسل الإمامُ المغيلي في المسألة جلالَ الدين السيوطي، بقصيدة نقتطف منها ما يلي:

سمعت بأمر ما سمعت بمثله وكل حديث حكمه حكم أصله

أيمكن أن المرء في العلم حجة وينهى عن الفرقان في بعض قوله

هل المنطق المعني إلا عبارة عن الحق أو تحقيقه حين جهله

معانيه في كل الكلام وهل ترى دليلا صريحا لا يرد لشكله

فكان جواب جلال الدين السيوطي ومنه قوله:

حمدت إله العرش شكرا لفضله وأهدي صلاة للنبي وأهله

عجبت لنظم ما سمعت بمثله أتاني عن حبر أقر بنبله

تعجب مني حين ألفت مبدعا كتابا جموعا فيه جم بنقله

أقرر فيه النهي عن علم منطق وما قاله الأعلام من ذم شكله

سلام على هذا الإمام فكم له لدي ثناء واعتراف بفضله[27]

المعلم الثاني: صفاته النفسية والخلقية

سنحاول في هذا المبحث استجلاء الصفات النفسية والخلقية، واستكناه الروح المغيلية التي أثرت في عصرها تأثيرا بليغا، وصنعت أحداث المنطقة دينيا وسياسيا واجتماعيا.

لعل أهم صفة تطالع الناظر في شخصية الإمام المغيلي، والسابر لأغوارها قوته وجرأته في الحق؛ وهو خلق شهد به معاصروه، والذين ترجموا له، يقول ابن عسكر: «**كان شديد الشكيمة في الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر**»[28]، ويقول أحمد بابا التنبكتي عنه أنه «**متمكن المحبة في السنة، وبغض أعداء الدين**»[29]، مجليا هذه الصفة النفسية بقوله: «**كان رحمه الله مقداما على الأمور جسورا، جريء**

القلب، فصيح اللسان، محبا في السنة، جدليا نظارا محققا»[30]، وجاء في رسالة جوابية للإمام أبي عبد الله السنوسي بعثها للمغيلي جوابا عن فتوى اليهود -كما سيأتي- ما يكشف عن هذه الخاصية النفسية: «**إلى الأخ الحبيب القائم بما اندرس في فاسد الزمان من فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، التي القيام بها -لا سيما في هذا الوقت- عَلَم على الاتسام بالذكورة العلمية، والغيرة الإسلامية، وعمارة القلب بالإيمان**»[31].

وقد تجلت جرأته في الحق، وجسارته وإقدامه في معركته المفتوحة مع اليهود، ووقوفه ضدهم، فلم يفتَّ في عزمه، أو يضعف من جرأته مقتل ابنه على يد يهود توات، كما سيأتي تفصيله لاحقا.

المبحث الثالث: من معالم الرؤية الدينية والسياسية عند الإمام المغيلي

المعلم الأول: قضية اليهود

غادر المغيلي مسقط رأسه تلمسان -في تاريخ غير معروف- متوجها إلى توات التي كانت مركز إشعاع إسلامي، ونقطة تجارية نشيطة باعتبارها نقطة وصل بين بلاد المغرب والسودان، ومستودع التجارة الصحراوية. ومن غير المستبعد كذلك أن يكون توجه المغيلي لتوات مرحلة فقط في طريقه للدعوة والإرشاد ببلاد السودان، فقد نقل التمبكتي وغيره دخوله بلاد أهر وتكدة وكنو وكشن والتكرور، واجتماعه بأهلها أمراء ومأمورين، وإقراءه لأهلها إلى حين وصوله إلى بلدة كاغو واجتماعه بسلطانها الأسكيا الأول[32].

لقد اتخذت قضية اليهود عند المغيلي بعدا دينيا، وصراعا حضاريا؛ فالمسألة عنده مسألة مغالبة دينية يقول في ذلك: «**فالمغالبة بيننا وبينهم في الدين...**»[33]. ويقول: «قيل: **كل العداوة قد ترجى مودتها إلا عداوة من عاداك في الدين؛ وقد علمنا طعن الكفار علينا، وتقولهم في ديننا؛ لا سيما إخوان القردة، فإنهم أشد الناس عداوة لنا ولنبينا وسيدنا ومولانا وشفيعنا محمد ﷺ، فما أقل همة من لا ينفر منهم**

بطبعه وقلبه وجوارحه ولبه، وما أخس وأخزى من يسمح لهم بقربه؛ لأن ما من أحد منهم ينظر إلينا إلا ولسان حاله ناطق ببغضنا وسبنا والطعن علينا في ديننا، حتى أنهم لعنهم الله حرموا على أنفسهم ذبائحنا وأطعمتنا... وأعظم من ذلك طعنهم في ديننا واستهزاؤهم بصلاتنا، وما يتعرضون به لسيدنا ومولانا محمد ﷺ حبيبنا وشفيعنا»[34].

ولقد كان لتزايد النفوذ السياسي والاقتصادي ليهود الغرب الإسلامي دور في هذه الحركة التعبوية التي اضطلع بها المغيلي. فلقد استفاد يهود شمال إفريقيا من وساطتهم التجارية بين العالم المسيحي والإسلامي بقرب البحر المتوسط، وانتقل بعضهم إلى المراكز التجارية المغربية المؤدية إلى بلاد الذهب والعبيد... فكانت النتيجة أن أصبح يهود القرن التاسع الهجري ذوو وزن اقتصادي في المغرب والسودان، والمراكز الرابطة بينهما، مما مكنهم من الوصول إلى مكانة سياسية في بلاط فاس على وجه الخصوص بلغ حد تعيين السلطان عبد الحق المريني يهوديين في منصب سام، أما في توات فقد استولى يهودها على التجارة الصحراوية وأمسكوا بزمامها. يقول عبد الكبير بن عبد الحفيظ الفاسي في سياق بيانه أثر المغيلي في محاربة نفوذ اليهود المتنامي: «**وبه أذل الله اليهود وكسر شوكتهم من بلاد توات، وإلا فقد كانوا قبله تولوا أحكام جل قراها ونواحيها**»[35].

إن نفوذ اليهود المالي في رأي المغيلي هو الذي جعلهم يتمردون على الأحكام الشرعية بتولية أرباب الشوكة، وخدمة السلطان مما مكنهم من احتلال مناصب سياسية سامية، وهذا في غير صالح الإسلام والمسلمين. يقول المغيلي: «**فكل يهودي تعلق بخدمة سلطان أو وزير أو قاض أو كبير، فقد انتقض عهده، وحل ماله ودمه، لأن خدمة أرباب الشوكة مناقض لشروط الذمة من الصَّغار والذلة**»[36].

لقد اعتبر المغيلي التساهل في تطبيق شروط الذمة تساهلا في الامتثال لأوامر

الدين، ومن ثم وجب إلزامهم الذل والهوان، يقول ابن عسكر ملخصا رؤيته في القضية: «**وكان يرى أن اليهود لعنهم الله لا ذمة لهم لانتقاضها لتعلقهم بأرباب الشوكة من المسلمين، المنافي للذل والصَّغار المشروط في أداء الجزية، وأن نقض بعضهم لازم لكلهم، وأباح دماءهم وأموالهم، وجعل الاعتناء بهم أهم من الاعتناء بغيرهم من الكفار**»[37].

حيث دعا المغيلي إلى فرض الصَّغار على اليهود لأنه مقمعة لهم، ولأن الله لم يرفع السيف عن رقابهم إلا بشرط إعطائهم الجزية والصغار، فقال تعالى: ﴿حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾ (التوبة: 29). يقول المغيلي في هذا الشأن: «**فإن نحن غالبناهم في دينهم فنحملهم على إخفائه، ودس معالمه فهم صاغرون، وإن ملكوا القناطير المقنطرة من الذهب والفضة، وأننا إذا غلبناهم في ذلك غلبناهم على الصغار في الدين وغيره، وإن نحن لم نغلبهم على ذلك وكانت شعائر كفرهم قائمة اختل صغارهم بقدر ما أقاموه من دينهم، وإن أعطوا عليه القناطير المقنطرة من الذهب والفضة؛ بل قبول ذلك منهم بعكس الصغار منهم**»[38].

إن شروع المغيلي في مطاردة يهود توات لإخلالهم بهذه الشروط يعد انقلابا ضد كل ما اكتسبه هؤلاء في السابق من امتيازات اقتصادية وسياسية واجتماعية[39].

وقد وجه المغيلي رسالة إلى علماء المغرب وتونس وتلمسان يستفتيهم في هذه القضية مما جاء فيها: «**ما تقولون وفقكم الله في مسألة تمنطيط مدينة توات، أحيا المسلمون أرضها بإخراج مياهها، وغرس نخلها، وبناء قصورها مدة، ثم قدم عليهم اليهود ونزلوا عليهم في المدينة المذكورة، وأحدثوا فيها كنيسة لإقامة دينهم وأقاموا على ذلك مدة إلى الآن. فهل تهدم تلك الكنيسة، وإن كانوا ملكوا أرضها قبل بنائها بشراء من المسلمين أو غيره ؟ أو لا تهدم ؟ أفتونا في ذلك بجواب صريح، ولكم الأجر فإن المسلمين في حيرة من هذه المسألة. فإن كان الحق هدمها**

هدموها بلا فتنة ولا اختلاف، وإن كان الحق إبقاءها أبقوها بلا فتنة»[40].

ولعله أراد بهذا الاستفتاء أن يُكَوِّن رأيا عاما قويا، وموقفا داعما يستند إليه في حملته ضد اليهود. وقد انقسم العلماء بإزاء هذه القضية إلى طرفين:

– **طرف مؤيد:** ضم بعض أشهر علماء المغرب؛ منهم محمد بن عبد الجليل التنسي، وعيسى بن أحمد الماواسي مفتي فاس، وأبو عبد الله السنوسي، وأحمد الونشريسي.

– **طرف معارض:** مثَّل هذا الموقف قاضي توات عبد الله العصنوني الذي أمر أهالي توات بعدم التعرض لليهود، أو هدم كنائسهم، والموقف نفسه اتخذه قاضي تلمسان أبو زكريا يحيى بن أبي البركات فقال معبرا عن موقفه: «**لا خفاء أن من معه أدنى مسكة من العقل فضلا عمن اتصف بالعلم إن تدبر الأوصاف المسطرة فوقه التي أحدها يقوم مقام جميعها لا يقول بهدم الكنائس المذكورة ولا يفوه به**»[41]، ومن هذا الفريق فقيه تلمسان أحمد بن زكري الذي اعتبر «**هدم الكنائس الموصوفة ظلم لأهل الذمة، وظلم أهل الذمة لا يجوز شرعا**»[42].

اعتمد المغيلي على الموقف الداعم لرأيه في قضية اليهود ليصدر فتوى تحرم على اليهود بناء كنائسهم ومعابدهم، والتنصيص على هدم ما بُني منها. فهجم من انتصروا لرأيه من محبيه ومشايعيه فأعملوا آلاتهم في هدمها، وقتل من عارضهم في ذلك، يقول أحمد بابا التنبكتي: «**وحين وصل جواب التنسي ومعه كلام السنوسي بتوات أمر صاحب الترجمة جماعته فلبسوا آلات الحرب، وقصدوا كنائسهم، وأمرهم بقتل من عارضهم دونها فهدموها**»[43]. وجعل المغيلي لكل من يصيب نفسا من اليهود سبع مثاقيل، وقال بأن من مات ممن يريد هدم الكنائس فهو من أهل الجنة كما جاء في فتواه.

وفي ختام بسطنا القول في هذه القضية يحق لنا أن نتساءل عن السر وراء هذا

الاهتمام الكبير بهذه القضية: أللخطر الذي أصبح يشكله اليهود على الكيان الإسلامي، من خلال تزايد نفوذهم الاقتصادي والسياسي في غرب العالم الإسلامي ؟

وبخاصة إذا استحضرنا تفاعلات هذه القضية بالبلاد المجاورة، ومنها المغرب الأقصى الذي شهد أحداثا شبيهة، واتُخِذَت فيه مواقف مماثلة، من ذلك ما حصل لليهود من تنكيل وتضييق بعد المنزلة العالية التي أنزلهم بها السلطان عبد الحق المريني (ت869هـ)، والتي كانت من أسباب حتفه، وبواعث اغتياله، حيث قدَّم للوزارة يهوديين عاثا في السلطنة فسادا، وساما أهلها الخسف «**وشرعا في أخذ أهل فاس بالضرب الوجيع، والفيء رجالا ونساء. وكانت اليهود تتحكم في الشرفاء والفقهاء وأكابر الناس**»[44] كما حكى ابن القاضي (ت1025هـ)، ولم يلبث أن قام عامة أهل فاس ثائرين، وشايعهم في ذلك خطيب جامع القرويين أبو فارس عبد العزيز الورياغلي (ت880هـ)، فكانت نكبة اليهود؛ يحكي ابن القاضي بعضا من وقائعها: «ووقع القتال على ملاح اليهود، فأُخذوا بأجمعهم، وفيئت أموالهم... وأيقن عبد الحق النكبة... وانتُهبت محلته، ووقع فيها الفيء، وعاين المنية... وعبثت به يد الإهانة في يوم مشهور برز فيه كافة أهل المغرب، وأجمع الناس على ذمه، وشكروا الله على أخذه، وأُدخل البلد الجديد، وذُبح بالفور سنة 869هـ»[45].

وبعد هذا التاريخ بمدة قصيرة سيستقيل الإمام علي بن ميمون الغماري (ت917هـ) من منصب قاضي شفشاون ومفتيها بسبب انزعاجه واعتراضه على ما ناله اليهود حينها من حظوة ومكانة عند أمير شفشاون علي بن راشد؛ على ما ذكره ابن عسكر في "دوحة الناشر" بقوله: «**فبينما هو جالس معه ذات يوم، وإذا بيهودي أقبل وأخذ بيد الأمير المذكور وقبَّلها، فقال القاضي ابن ميمون: إنا لله وإنا**

إليه راجعون، نحن نقبل يدا تقبلها اليهود!! فأزعجته العناية الربانية بسبب ذلك إلى حضرة فاس»[46].

المعلم الثاني: المغيلي ومشربه الصوفي

عند تصفحنا لمعظم المصادر التي وقفنا عليها والتي ترجمت للمغيلي لم نجد فيها ذكرا صريحا لمشرب المغيلي الصوفي إلا ما ذكر عرضا في بعضها. حيث نجدها قد أغفلت الحديث عن هذا الجانب المخفي في شخصية المغيلي؛ ابتداء بأقرب مصدر لعصره وهو مؤلَّف: "دوحة الناشر" لابن عسكر (ت 968هـ)، ثم "كفاية المحتاج" و "نيل الابتهاج" لأحمد بابا التنبكتي (ت1036هـ)، ومن نقل عن هذا الأخير حرفيا كابن مريم صاحب "البستان"[47]، ومحمد الحفناوي (ت1360هـ) في: "تعريف الخلف"، وابن إبراهيم (ت1378هـ) صاحب "الإعلام" الذي أضاف إليه زيادات يأتي الإشارة إليها لاحقا، ومن اقتبس واستفاد من ابن عسكر وأحمد بابا كعبد الكبير الفاسي (ت1295هـ) في: "تذكرة المحسنين"، وابن مخلوف (ت1360هـ) في: "شجرة النور الزكية".

فكانت الوجهة التالية البحث في ثنايا النصوص التاريخية، وإمعان النظر في أسلوبها ومصطلحاتها لعل شيئا منها يقودنا إلى إبراز تصوف المغيلي، ونسبته إلى القادرية.

أول إشارة طالعتنا ما أورده سامي سعيد نقلا عن مرجع أجنبي جاء فيه: «لقي الأسكيا تأييدا من عالم توات محمد بن عبد الكريم المغيلي الذي كان أحد شيوخ الزاوية القادرية بهاته المدينة الصحراوية توات»[48]. ونقل كذلك عن مرجع أجنبي معلومة تاريخية تفيد بأن المغيلي قد التقى بالشيخ عمر البكاي الذي كان ينتمي إلى قبيلة كنته، ذات النفوذ في الساحل أو الصحراء الكبرى، وسيعملان معا على نشر الطريقة القادرية بالمنطقة. وعندما توفي المغيلي خلفه الشيخ عمر البكاي في قيادة

الزاوية القادرية؛ حسب المرجع نفسه[49].

وهي معلومات على قلتها أوردتها مراجع أجنبية، في حين أغفلت كتب التاريخ والتراجم العربية التي تعرضت للمغيلي، وبسطت القول في مسيرته العلمية، ودوره الفاعل المؤثر في مجريات السياسة العامة؛ الإشارة لهذا الجانب، سوى إشارة يتيمة ساقها ابن إبراهيم السملالي في "الإعلام" نقل فيها نصا للمختار بن أحمد الكنتي (ت1226هـ)[50] من كتابه "التوحيد" وهو نص واضح في دلالته على صوفية المغيلي، حيث جعله من أهل الطريق، وخاصةِ رجال التربية فيها. ذكر فيه بأن المغيلي جال في بلاد التكرور والمغرب الأقصى، وحلاه بالشيخ القطب الكامل، وذكر أن أحد أجداده المعروف بعمر الشيخ (ت960هـ) قد أخذ عنه، وساق كذلك بعض كراماته لما توجه مع جده المذكور إلى الحج، وأنه لما أشرف على المدينة المنورة ارتجل المغيلي قصيدته العجيبة التي مطلعها:

بشراك يا قلب هذا سيد الأمم وهذه حضرة المختار في الحرم

فلما قام عند الروضة ليدخلها هم الوكلاء بها بمنعه فقال:

يا سيدي يا رسول الله خذ بيدي فالعبد ضيف وضيف الله لم يضم

فاهتزت عند ذاك الروضة الشريفة، وانفتح بابها، وفر الوكلاء لعظم ما رأوا. فمكث فيها ساعة فأقبل الناس عليه وهو يقول لهم: لست هنالك فلا تشغلوني عما أنا بصدده، فمن كان منكم يريد البركة فعليه بالروضة الشريفة، فإنها عين الرحمة، ومنبع الحكمة، وأصل الهداية[51].

وهو نص حافل بمصطلحات أهل التصوف، ومعان تحمل النفس الصوفي، وتمتح من معين التربية الصوفية. فوصفُه "**بالشيخ القطب الكامل**" من لدن المختار الكنتي تنكشف دلالته من وجهين:

– **الوجه الأول:** باعتبار أن المختار الكنتي ينتمي إلى أسرة قادرية المشرب، ساهمت في نشر الطريقة القادرية بالسودان الغربي، واضطلعت بأعمال مهمة في التربية والإرشاد الصوفي.

– **الوجه الثاني:** أن إطلاق وصف "الشيخ القطب الكامل" –وهو وصف يدلل على تراتبية الولاية عند الصوفية، ذلك المقام الذي تتسامى الهمم للوصول إليه– يدل على أن المغيلي اعْتُبِر من خواص الصوفية، وأبرز رجالات التربية والسلوك. يعضد هذا الطرح ما أورده المترجم من كرامات نُسبت للمغيلي، ووقعت بحضور عمر الشيخ الكنتي في رحلتهما إلى الحج. مع ما يكتنف النص من اصطلاحات صوفية من مثيل: الشيخ القطب الكامل، الكرامات، خذ بيدي، البركة، عين الرحمة...

– فالشيخ القطب الكامل –كما ألمحنا إليه سابقا– لقب من ألقاب الولاية، ومرتبة من مراتبها.

– والكرامات عنصر حاضر في التجربة الصوفية، وعطاء رباني يُكرم به الله السالك لطريق المجاهدة.

– وخذ بيدي: توسل صريح بالذات المحمدية، وهو أمر مُسَلَّم به عند الصوفية، الذين دأبوا على التوسل برسول الله ﷺ تقديرا لمقامه، واستمدادا من أنواره.

– البركة مصطلح صوفي معروف يكثر توظيفه، والاعتماد عليه، واستحضاره في الأدبيات الصوفية.

– عين الرحمة حيث يعتقد الصوفية أن الأنبياء جميعهم خلقوا من الرحمة، وأن نبينا هو عين الرحمة، قال الله تعالى: ﴿**وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ**﴾ (الأنبياء: 107).

نورد بعضا من أبيات القصيدة التي وردت الإشارة إليها، والتي أنشدها المغيلي

في رحلته إلى الحج صحبة عمر الشيخ الكنتي؛ لما تحمله من معان رائقة، ولما تعبق به من نفس صوفي جلي:

بشراك يا قلبُ هذا سيد الأمم وهذه حضرة المختار في الحرم
وهذه الروضة الغراء ظاهرة وهذه القبة الخضراء كالعلم
ومنبر المصطفى الهادي وحجرته وصحبه وبقيع دائر بهم
فطب وغب عن هموم كنت تحملها وسل تنل كل ما ترجوه من كرم
يا سيدي يا رسول الله خذ بيدي فالعبد ضيف وضيف الله لم يضم
يا سيدي يا رسول الله خذ بيدي يا من لقاصده أمن من النقم
يا سيدي يا رسول الله خذ بيدي فبحر جودك مورود لكل ظمي
يا سيد الرسل يا من ضيف ساحته يبيت بالأمن في خير وفي نعم
يا أكرم الخلق من حاف ومنتعل يا أفضل الناس في ذات وفي شيم
يا أشرف الأنبيا يا من شفاعته عمت على الخلق في الوجدان والعدم
يا صفوة الله يا مولى مكارمه عمت على الخلق من طفل إلى هرم
إني فقير إلى عفو ومرحمة وأنت أدرى بما في القلب من ألم
وقد أتيتك أرجو منك مكرمة وأنت أهل الرضا والجود والكرم[52]

وهذا عبد الكبير الفاسي (ت1295هـ) ينعته بصاحب «**الخوارق المتواترة، والحقائق المتوافرة**»[53]، وهو وصف يشير إشارة واضحة إلى انتساب الإمام المغيلي

للتصوف، واستمداده من حقائقه، وتمثله لرقائقه ودقائقه.

المعلم الثالث: المغيلي وفقه السياسة الشرعية

لعل الناظر في التراث الفكري والرصيد التأليفي للمغيلي ليشهد ذلك العطاء الثر، والنتاج الزاخر في فقه السياسة الشرعية على قلة ما كتبه علماؤنا السابقون في هذا الفقه المغيب، الذي يؤسس لبناء الدولة وعلاقات أفرادها، وواجبات منتسبيها، ويجلي حقوق الله، وحقوق الأمة في الشورى والعدل والإنصاف.

ولقد سعى المغيلي إلى بناء تصور متكامل للتنظيم الاجتماعي والسياسي للدولة الإسلامية، وضبط علاقات أفرادها، وتحديد اختصاصات أجهزتها فيما خطه نصيحة للأمراء والحاكمين، والذي يمكن اعتباره بمثابة وثيقة دستورية توجه عملهم، وتضبط اشتغالهم، وتنير طريقهم.

سنحاول بإيجاز استعراض ملامح تصور المغيلي للسياسة الشرعية كما ضمنها في رسائله:

- فهو يرى -ابتداء- أن الإمارة خلافة عن الله، ونيابة عن رسول الله ﷺ؛ بما يجعل المنتصب لها مدركا لجلالة المهمة، وعظم المسؤولية، وخطورة الموقع القيادي، يقول المغيلي: «**فإن الإمارة خلافة من الله، ونيابة عن رسول الله ﷺ، فما أعظم فضلها، وما أثقل حملها. إنْ عدَل الأمير ذبحته التقوى بقطع أوداج الهوى، وإن جار ذبحه الهوى بقطع أوداج التقوى**»[54].

ثم تراه ينبه المبتلى بمسؤولية الإمارة بتجديد المقاصد والنيات، وتحرير الإرادة من سلطان الهوى، وإغراءات المنصب والجاه والمنزلة عند الخلق فيقول: «**ليكن عملك كله لوجه الله، وذَكِّر نفسك أنك واحد من خلق الله، كثير أقوى منك... فليكن طمعك كله في الله، وخوفك كله من الله، وهمك كله مصالح خلق الله، ما ولاك الله عليهم لتكون سيدهم ومولاهم فيما ولاك عليهم لتصلح لهم دينهم**

ودنياهم»[55].

– ويضع تصورا واضحا للتنظيم الإداري والعسكري، مستعرضا مهامه المتعينة، واختصاصاته المطلوبة فيقول: «**فعلى كل أمير أن يرتب قطاع مملكته لسكونه وحركته، على ما يتمكن له من صلاح رعيته... فخدام بالحضرة يتصرفون، وعقلاء يشيرون، وأمناء يقبضون ويصرفون، وكتاب وحساب يحفظون، ورسل وجساس، وحفظ وعساس... وعلماء تقاة يرشدون، وأئمة فضل يجمعون، وعدول يشهدون، ومحتسبون يكشفون عن الحق ويصلحون، وأرباب شرط يزجون، وقضاة ثقات يفصلون، ورجال معظمون لوجه الله، وعمال يجبون حق الله، ووزراء لا يخشون إلا الله**»[56].

– ولأهمية المال في بناء الدولة وعافيتها، ودوره في استقامة أمرها، واستدامة خدماتها، وقوة نفوذها، وضمان استقرارها؛ يشير المغيلي برأيه في السياسة المالية الواجب اتباعها، فيقول: «**إذا كان الأمير عادلا في صرف مال الله، وجب على من بيده شيء منه من زكاة عين أو غيرها أن يدفعه له ليصرفه. وزكاة العين موكولة لأمانة أربابها، فليس لأمير أن يهتك في طلبها أستارهم، ولا أن يفتش ديارهم، ولا أن يحلف إلا أشرارهم. فمن ادعى عدم كمال نصابه أو حوله صدق في قوله، كمسافر زعم أنه قبل قدومه أخذت منه، أو أن عليه دينا يسقط الزكاة عنه**»[57].

وفي التنظيم الاجتماعي يجعل المغيلي للعلماء منزلة رفيعة ومكانة متميزة، ويُلزم الحاكم على قبول نصيحتهم، وطلب مشورتهم؛ فيقول موجها كلامه لحاكم مملكة سنغاي الحاج أسكيا الكبير محددا له ما يجب عليه: «**أن تسأل أهل الذكر عن كل ما لا تعلم من تصرفاتك كلها، لتحكم بما أنزل الله في كل ما حملك منهما. قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾، وقال تعالى: ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾، وقال تعالى: ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ**

فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾، ثم قال تعالى: ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾. والذكر هو القرآن، وأهله من اجتمع فيه وصفان: العلم والتقوى؛ لأن بالعلم يعرف الرشد من الغي، وبالتقوى يأمر بالرشد، وينهى عن الغي. فلا تقلد في دينك إلا من ثبت أنه عالم تقي، لأن من لم يثبت أنه عالم يخاف منه أن يَضل ويُضل بعماه. ومن لم يثبت أنه تقي يخاف منه أن يضل ويُضل بهواه»[58].

ويجعل المغيلي التضامن والتكافل روحا سارية في كيان التنظيم المجتمعي الذي يقترحه ويتصوره، هذه الروح التضامنية التي من شأنها تعزيز أواصر الأخوة الدينية، وحفظ كيان الدولة والمجتمع، يقول في هذا الشأن: «**فإن وقع بالناس مصيبة تفتقر لمال، ولا شيء في بيت المال، ولا يمكن دفع ضررها عنهم إلا من أموالهم وجبت الإعانة عليهم، بحسب أحوالهم من غير أن يستمر ذلك عليهم**»[59].

خاتمة

هذه بعضٌ من معالم الرؤية الدينية والسياسية لعالم كان له حضور علمي، وامتداد شعبي، ورصيد جماهيري، وتأثير سياسي واجتماعي، والذي أسست كتاباته الغزيرة، وحركته الاجتماعية والدينية المعتبرة لتحولات فكرية، وتغيرات سياسية؛ بوأته المكانة اللائقة والمنزلة العالية بين علماء جيله، وقادة عصره. وتبقى شخصية الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي في حاجة للنظر الواسع، والتبصر العميق في مشروعه الفكري والتربوي، ورؤيته السياسية بما يُمَكِّن من الإفادة منها، والاستمداد من الأصول التي أثلها، والقواعد التي وضعها لنهضة مجتمعه، وانبعاث أمته، وتحقيق الحكم الرشيد في زمنه.

الحواشي والإحالات:

[1] يقول السعدي: «في سنة 873 دخل في تنبكت... عمل فيها فسادا عظيما جسيما كبيرا، فحرقها، وكسرها، وقَتَلَ فيها خلقا كثيرا...» تاريخ السودان لعبد الرحمان السعدي: 65. (PARIS,

.(Librairie d'Amérique et d'Orient:1981

[2] تاريخ السودان: 64.

[3] نزهة الحادي بأخبار ملوك القرن الحادي لمحمد الصغير الإفراني: 90. مطبعة بردين: أنجي (فرنسا)، 1888م.

[4] دوحة الناشر بمحاسن من كان بالمغرب من مشايخ القرن العاشر لمحمد بن عسكر: 131. تحقيق محمد حجي، دار المغرب: الرباط، 1397ه/1977م.

[5] تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار لأبي عبد الله محمد بن عبد الله اللواتي الشهير بابن بطوطة 790/2. تحقيق علي المنتصر الكتاني، مؤسسة الرسالة: بيروت، ط4، 1405ه.

[6] تحفة النظار 790/2.

[7] رسالة جواب حول أنواع الطعام لمحمد بن عبد الكريم المغيلي، نقلا عن مساهمة في دراسة تاريخ الحياة الدينية في السودان الغربي خلال العصر الوسيط الدين والعلم في عصر الأسكيين 1493-1591 لسامي سعيد: 165-166. رسالة لنيل دبلوم الدراسات العليا، كلية الآداب، جامعة سيدي محمد بن عبد الله: فاس، 1992/1991، (مرقونة).

[8] المرجع نفسه: 302.

[9] تاريخ السودان: 72.

[10] يقول أحمد بابا: «آب لبلاد السودان ودخل كنو وغيرها وعظموه، وأعطوه مالا جزيلا» نيل الابتهاج بتطريز الديباج لأحمد بابا التنبكتي: 264. عناية وتقديم عبد الحميد عبد الله الهرامة، منشورات كلية الدعوة الإسلامية: طرابلس (ليبيا)، ط1، 1398ه/1989م.

[11] انظر: كفاية المحتاج لمعرفة من ليس في الديباج لأحمد بابا التنبكتي 254/1. تحقيق محمد مطيع، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية: المغرب، 1421ه/2000م. يقول في ذلك: «وصل إلى بلد ولاتن، دهليز بلاد التكرور، ودرس بها ثم رجع».

[12] انظر ترجمته في: كفاية المحتاج 222/2. يقول في هذا الشأن: «رحل للشرق صحبة سيدنا الفقيه محمود فلقي أجلاء كشيخ الإسلام زكرياء والبرهانين القلقشندي وابن أبي شريف، وعبد الحق السنباطي وجماعة...».

[13] قال عنه أحمد بابا: «ممن رحل للشرق زمن أبي القاسم النويري أواسط التاسعة، وكان عالما فعزا لأهل مصر مسائل المختصر كلها لأصولها على ما قيل إلا ثلاثة» كفاية المحتاج 292/1.

[14] انظر: -نيل الابتهاج: 608 -فتح الشكور في معرفة أعيان علماء التكرور لأبي عبد الله الطالب محمد البرتلي الولاتي: 146. تحقيق: محمد إبراهيم الكتاني ومحمد حجي، دار الغرب الإسلامي: بيروت، ط1، 1401ه/1981م -كفاية المحتاج 246/2.

[15] انظر ترجمته في: -دوحة الناشر: 130-132 -نيل الابتهاج: 576-579 -كفاية المحتاج

2/213-214 -البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان لابن مريم التلمساني: 253-257. المطبعة الثعالبية: الجزائر، 1326هـ/1908م -تذكرة المحسنين بوفيات الأعيان وحوادث السنين لعبد الكبير بن المجذوب الفاسي القادري (موسوعة أعلام المغرب) 2/816. تحقيق محمد حجي وأحمد التوفيق، دار الغرب الإسلامي: بيروت، ط1، 1417هـ/1996م -تعريف الخلف برجال السلف لأبي القاسم محمد الحفناوي 1/166-170. مطبعة بيير فونتانة الشرقية: الجزائر، 1324هـ/1906م -الإعلام بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام للعباس بن إبراهيم السملالي 5/106-111. المطبعة الملكية: الرباط، ط 2، 1413هـ/1993م -درة الحجال في أسماء الرجال لأحمد بن محمد بن القاضي 2/285. تحقيق محمد الأحمدي أبو النور، دار التراث: القاهرة، ط1، 1391هـ/1971م -شجرة النور الزكية في طبقات المالكية لمحمد بن محمد مخلوف 1/395-396. تحقيق عبد المجيد خيالي، دار الكتب العلمية: بيروت، ط1، 1424هـ/2003م.

[16] دوحة الناشر: 130.

[17] نيل الابتهاج: 576.

[18] البستان: 253.

[19] تذكرة المحسنين (الموسوعة) 2/816.

[20] شجرة النور الزكية 1/395.

[21] انظر ترجمته في: نيل الابتهاج: 257.

[22] انظر ترجمته في: نيل الابتهاج: 637.

[23] انظر ترجمته في: كفاية المحتاج 1/377.

[24] انظر ترجمته في: دوحة الناشر: 132.

[25] انظر ترجمته في: -كفاية المحتاج 2/222 -نيل الابتهاج: 587.

[26] يقول عن هذا الكتاب أحمد بابا التنبكتي: «كتاب عجيب في كراسين أرسله للسنوسي وابن غازي فقرظاه» نيل الابتهاج: 577.

[27] انظر وقائع المناظرة والقصيدتين بتمامهما في: -نيل الابتهاج: 578-579 -البستان: 256-257.

[28] دوحة الناشر: 130.

[29] نيل الابتهاج: 576.

[30] نيل الابتهاج: 577.

[31] نيل الابتهاج: 576.

[32] انظر: نيل الابتهاج: 577.

[33] مصباح الأرواح في أصول الفلاح لمحمد بن عبد الكريم المغيلي: 37. تحقيق: عبد المجيد خيالي، دار الكتب العلمية: بيروت، ط1، 1421هـ/2001م.

[34] مصباح الأرواح: 30-31.
[35] تذكرة المحسنين (الموسوعة): 816.
[36] مصباح الأرواح: 43-44.
[37] دوحة الناشر: 130.
[38] مصباح الأرواح: 38.
[39] مساهمة في دراسة تاريخ الحياة الدينية في السودان الغربي خلال العصر الوسيط: 225.
[40] المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوي أهل إفريقية والأندلس والمغرب لأبي العباس أحمد بن يحيى الونشريسي 2/235-236. وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية: الرباط، ودار الغرب الإسلامي: بيروت، 1401هـ/1981م. راجع نص السؤال، وفتاوي العلماء المؤيدة لموقف المغيلي والمعارضة له بالمصدر نفسه ضمن صفحات متصلة 2/214-259.
[41] راجع فتواه بالمعيار المعرب 2/229.
[42] المعيار المعرب 2/219.
[43] نيل الابتهاج: 577.
[44] درة الحجال 3/157-158.
[45] المصدر نفسه 3/158.
[46] دوحة الناشر: 28.
[47] صرح ابن مريم نفسه بنقله عن "نيل الابتهاج" حين قال في خاتمة كتابه معددا مصادره: «وهاهنا انتهى الغرض فيما قصدناه، على الوجه الذي بيناه... وقد انتخبته من "نيل الابتهاج بتطريز الديباج" للشيخ أحمد بابا السوداني، ومن "بغية الرواد"...» البستان: 314.
[48] مساهمة في دراسة تاريخ الحياة الدينية في السودان الغربي خلال العصر الوسيط: 198.
[49] المرجع نفسه: 199.
[50] انظر ترجمته في: فتح الشكور: 152.
[51] راجع: الإعلام لابن إبراهيم 5/110.
[52] نقلا عن الإعلام 5/110.
[53] تذكرة المحسنين (الموسوعة) 2/816.
[54] ما يجب على الأمير من حسن النية للإمارة (رسالة في الإمارة) لمحمد بن عبد الكريم المغيلي. منشورة ضمن كتاب: الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني ودوره في تأسيس الإمارة الإسلامية بأفريقيا الغربية لمبروك مقدم: 84-85. دار الغرب للنشر والتوزيع: وهران (الجزائر).
[55] المرجع نفسه: 88.
[56] المرجع نفسه: 95-98.

[57] المرجع نفسه:119.

[58] أسئلة الحاج أسكيا وأجوبة المغيلي: 4. مخطوطات مكتبة مما حيدرة : تنبكتو (مالي)، رقم 3562.

[59] ما يجب على الأمير من حسن النية للإمارة: 122.

Imam Muhammad ibn Abdul-Karim al-Moghili (909 / 1503) Points de repère de sa vision religieuse et politique

Par :
EL –Mustafa EL-Hakim
The Kingdom of Morocco

Résumé

L'imam Mohammed fils de Abdelkarim Al maghili (décédé en 1503)

L'imam, Mohammed fils de Abdelkarim Al maghili, est considéré comme un statut prestigieux et luxuriant dans le domaine du renouveau intellectuel en occident islamique qui a connu un vaste rayonnement et dont l'effet a atteint des horizons lointains. Sa présence intellectuelle et éducative, dans les grandes régions africaines, constitue un moment important et une étape essentielle dans l'histoire scientifique en occident islamique. Sa vision ne se complète et l'acquisition de la compréhension de ses itinéraires, ses méthodes et ses références ne se réalise sans la maitrise précise relative à sa carrière et sa biographie, son legs éducatif, sa contribution scientifique et le suivi complet de ses disciples ainsi que ceux qui l'ont côtoyé et qui se sont dispersés dans les pays africains accomplissant le rôle d'initiateurs et éducateurs.

J'ai essayé, lors de ma recherche concernant cette personnalité, d'émerger ses positions et ses idées afin de comprendre son acte et son legs dans leurs contexte historique et surtout à travers des questions spécifiques qui ont attiré son attention et excité sa réflexion.

Qui est donc ce savant qui a interagi avec les événements de son époque, qui a influencé le cours de ses déroulements et qui a participé à la formulation d'une vision intégrée marquant la vie religieuse, sociale et politique? Quelles sont les caractéristiques de cette personnalité scientifique qui a participé à l'élaboration de l'histoire de sn époque? Quels sont les paramètres de sa vision politique, religieuse et sociale que nous avons obtenus grâce à la méditation effectuée sur son patrimoine scientifique, son expérience éducative et son mouvement de renouveau?

les mots clés :
Imam, al-Moghili, Points de repère, religieuse , politique.